الدرس الثاني: نظرية الحقول الدلالية2

تبنى هذه النظرية على المفهوم الحقلي، وهو المفهوم الذي يندرج تحته مجموعة من العناصر التي تربطها علاقة ما، لأن المفهوم قاعدة تصنيفية، تصنف من خلالها أشياء الكون وعناصره وفق قواعد معينة[1].

أولا: مفهوم الحقل الدلالي

يعرّف ستيفن أولمان الحقل الدلالي بقوله: **هو قطاع متكامل من المادة اللغوية يُعبِّر عن مجال معيَّن من الخبرة**، ويعرِّفه جون لاينز Lyons بقوله: **مجموعة جزئية لمفردات اللغة**. فيكون الحقل الدلالي معبِّرا عن جزء من مفردات لغة ما، من خلال الترابطات الدلالية الموجودة بينها وهو ما يعرف بالعلاقات الدلالية، فلا يمكن فهم معنى كلمة ما، حسب نظرية الحقول الدلالية، إلا بفهم مجموعة الكلمات المتصلة بها دلالياً، أو كما يقول لاينز: يجب دراسة العلاقات بين المفردات داخل الحقل أو الموضوع الفرعي. ولهذا يعرف لاينز معنى الكلمة بأنّه **محصِّلة علاقاتها بالكلمات الأخرى في داخل الحقل المعجمي**[2]. وهدف التحليل للحقول الدلالية هو جمع كل الكلمات التي تخص حقلاً معيناً، والكشف عن صلاتها الواحد منها بالآخر، وصلاتها باللفظ العام.

ويُعرَّف الحقل الدلالي أو الحقل المعجمي بأنَّه **مجموعة من الكلمات ترتبط دلالاتها، وتُوضَع عادة تحت لفظ عام يَجمعُها**. مثال ذلك كلمات: **الأقارب**. فهي تقع تحت اللَّفظ العام: القرابة وتضم ألفاظاً مثل: أب – أم – ابن – ابنة – عم– عمّة– خال– خالة...إلخ.

ويعرِّفُه عبد السلام المسدي بقوله: " **أمَّا الحقل الدلالي لكلمة ما فتمثِّله كُلُّ الكلمات التي لها علاقة بتلك الكلمة، سواء كانت علاقة ترادف أو تضاد أو تقابل جزئي أو**

---

[1] ينظر أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص38.

[2] ينظر جون لاينز، ص22، وينظر أحمد مختار عمر. علم الدلالة، ص79.

كلي...فكل مجموعة نســـميها الحقل، والحقل هو المعنى العام الذي يشـــمل كل الوحدات (الحيوان هو الحقل الذي تندرج فيه كل الحيوانات (المخلوقات التي فيها الحياة والحركة)".

وقد أَجْمَل أحمد مختار عمر مبادئ يتَّفق عليها أهل هذه النظرية، وهي:

1. لا وحدة معجمية لا تنتمي إلى حقل معيّن.
2. استحالة دراسة المفردات مستقلة عن تركيبها النحوي.
3. لا وحدة معجمية عضو في أكثر من حقل.
4. لا يصح إغفال السياق الذي ترد فيه الكلمة.

ثانيا: نظرة تاريخية

لم تتضح فكرة الحقول الدلالية إلا في عشرينات وثلاثينات القرن الماضي، عندما استفاد الباحثون السويسريون والألمان والفرنسيين فيما بعد من أفكار سابقة لسوسير وغيره، ونذكر منهم إيســـبان (1924)، وجولز (1934)، وروزي (1934)، وتريي (1934). ولعل هذا الأخير هو الأكثر شـــهرة وتأثيرا في نظرية الحقول الدلالية من خلال تطبيقاته المبكِّرة على الألفاظ الفكرية في اللغة الألمانية الوسيطة، وبعده قام مايير باختيار ثلاثة أنماط من الحقول الدلالية ودرســها، وفي فرنســا تطوّر علم الدلالة التركيبي من خلال أبحاث ماطور (1953) وأتباعه على حقول تتعرّض ألفاظها للتغيّر أو الامتداد السريع، وتعكس تطورات اجتماعية أو ســياســية أو اقتصــادية. وفي الولايات المتحدة الأمريكية قام الأنثروبولوجيون بالتطبيق على حقول مختلفة مثل: الألوان، القرابة، الحيوان، النبات، الأمراض.

وقد رأينا أنَّ البنيويين خاصـــة الاتجاه الأمريكي يميل إلى أمال الدلالة أو التضـــييق منها لذلك نجد المـتأثرين بالتوزيعية عند بلومفيلد يتجاهلون دراسة المعجم؛ لأنه – في نظرهم – يعالج مفردات توصف بأنها غير تركيبية، أو – على الأقل – يبدو التسيب في تركيبيتها. والأمر نفســه عند التوليديين التحويلين؛ لأنهم يعتبرون المعجم جزءاً من النحو، وأعطوا أهمية

ضـــئيلة لمعاني الكلمات والجمل. ثم تغير اهتمامهم بظهور فكرة الحقل الدلالي أو الحقل المعجمي؛ باعتبار أنَّ هذه الفكرة تعطي مفردات اللغة شكلاً تركيبياً. فكلمات كل لغة – طبقاً لهذه الفكرة – تصـــنّف في مجموعات ينتمي كل منها إلى حقل دلالي معيّن. وعناصـــر كل حقل يحدّد كل منها معنى الآخر، ويستمد قيمته من مركزه داخل النظام.

ثالثا: تحليل الحقل الدلالي

تنظر نظريـة الحقول الدلاليـة إلى الحقل الدلالي نظرتين: داخليـة وخـارجيـة؛ فهي لا تسـعى إلى تحديد البيئة الداخلية لمدلول الكلمات فحسب، وإنما إلى الكشف عن بيئة خارجية تســـمح بالتأكد من أنَّ هناك قرابة دلالية بين مدلولات عدد من الكلمات، ولا تصـــنف هذه الطريقة مدلول الكلمات في حقول دلالية مبنية على الترادف والتماثل فقط مثل: طالب، تلميذ. وإنما تكون كذلك مبنية على التضـاد مثل: الطول – القصـر، البياض – السـواد، الصـغر– الكبر، القوّة–الضعف.

أو على علاقة السبب بالمسبب، أو على علاقة التدرج، وتكون العلاقات داخل الحقل الدلالي مبنية كذلك على الأوزان الاشتقاقية والتصنيفات النحوية أو الحقول التركيبية.

رابعا: أسس المعجم المصنَّف

يقوم الدارسون في هذا المجال بصـناعة معاجم موضـوعات بالنظر إلى المفاهيم التي تعطيها، ويلتزمون في هذا بشرطين أو بمرحلتين أساسيتين هما:

1. وضع قائمة بمفردات اللغة الهدف.
2. تصنيف هذه المفردات بحسب الحقول أو المفاهيم التي تتناولها.

قد تواجه الدارسين صعوبات في التصنيف تعود إلى ما يلي:

1. التمييز بين الكلمات الأساسية والكلمات الهامشية داخل الحقل.
2. تحديد العلاقات بين الكلمات داخل كل حقل.
3. حصر الحقول أو المفاهيم الموجودة في اللغة وتصنيفها.

لعل أشهر التصنيفات وأكثرها شمولية تصنيف معجم Greek New Testament، ويقوم على الأقسام الأربعة الرئيسية:

1. الأحداث events.
2. **الموجودات entities**.
3. العلاقات relations.
4. المجردات abstracts.

وتحت كل قسم نجد أقساماً أصغر. ثم يقسم كل قسم إلى أقسام فرعية، وهكذا.

من أمثلته ما يلي:

1. رجل – شيخ – صبي – ولد
2. امرأة – عجوز – فتاة – بنت
3. طفل – رضيع
4. جيل – قريب – أسرة – قبيلة – جنس.
5. نجل – ابن – ابنة – حفيد.
6. جد أب – أم – جدة
7. زوج – زوجة – حماة – عريس – عروس

واختلف تقسيم ستيفن أولمان عن التقسيم السابق، فقد رأى أن الحقول ثلاثة فقط:

أ- حقل التجريديات، ويمثلها ألفاظ الخصـــائص الفكرية. وهذا النوع من الحقول يعد أهم من الحقلين المحسوسين نظراً للأهمية الأساسية للغة في تشكيل التصورات التجريدية.

ب- حقل المحســوســات المنفصــلة، ويمثلها نظام العلاقات الأســرية. فهو يحوي عناصر تنفصل واقعاً في العالم غير اللغوي. وهذه الحقول كسابقتها يمكن أن تصنف بطرق متنوعة بمعايير مختلفة.

ت- حقل المحسوسات المتّصلة، ويمثلها نظام الألوان في اللغات فمجموعة الألوان امتداد متصل يمكن تقسيمه بطرق مختلفة. وتختلف اللغات فعلاً في هذا التقسيم.

قيمة النظرية

لهذه النظرية أهمية تتمثل فيما يأتي:

- إذا كان أقصـــى ما يحققه معجم تقليدي هو أن يصـــنف الكلمات في ترتيب هجائي، ويسرد كل معاني الكلمة، ويقوم بتحديد المعاني الأساسية والمعاني الفرعية فإنَّ معجم المفاهيم يعالج والمجموعات المترابطة: من الكلمات التي تنتمي إلى مجال معين. فمثلاً كلمة: كوب، يمكن دراستها مع كلمات مثل: فنجان وكوز وزهرية وكأس وإبريق، باعتبارها كلمات تدلُّ على أنواع من الأوعية. وفي نفس الوقت يتبيَّن أوجه التقابل والتشابه في الملامح داخل المجموعة، وهو ما يعجز عنه المعجم التقليدي.

ويمكن كذلك التمثيل بفعل: **القتل**، الذي له امتدادات واســـعة، ويضـــم عديداً من الكلمات التي تختلف بحسب ما تشير إليه: (إنسان – حيوان – حشرة) ... وبحسب نوع القتل بوحشـــية – بصـــورة جماعية. فالفعل اغتال: مثلاً يشـــير إلى أن المقتول شـــخص ذو قيمة سياسية، والقاتل شخص ذو دافع سياسي. والفعل ذبح يستعمل مع الحيوان عادة. ويمكن استعماله مع الإنسان للإرشاد إلى أن الضحية قد عوملت بوحشية كالحيوان. كما أن لفظ

مذبحة، يشـير إلى أن القتل كان جماعياً. والفعل أعدم: يسـتعمل مع قتل العقاب القانوني أو القصاص.

- أنَّ تطبيق هذه النظرية كشف عن كثير من العموميات والأسس المشتركة التي تحكم اللغات في تصنيف مفرداتها. كما بين أوجه الخلاف بين اللغات بهذا الخصوص من المشـــكلات التقليدية في المعاجم التمييز بين الهومونيمي والبوليزيمي (انظر فصـــل المشـترك اللفظي في الباب الثالث). والنوع الأول يقسـم إلى مداخل بعدد كلماته، أما النوع الثاني فيوضـــع في مدخل واحد لأنه كلمة واحدة في الحقيقة وقد حلت نظرية الحقول المشـكلة. لأن الكلمات المنتمية إلى حقول دلالية مختلفة سـوف تعالج على أنها كلمات منفصـــلة هومونيمي. فكلمة orange (برتقالي) تخص حقل الألوان، وكلمة orange (برتقال) تخص حقل الفاكهة.
- أنّ تجميع الكلمات داخل الحقل الدلالي وتوزيعها يكشـف عن الفجوات المعجمية التي توجد داخل الحقل؛ أي عدم وجود الكلمات المطلوبة لشـــرح فكرة ما أو التعبير عن شيء ما، وتسمى هذه بالفجوة الوظيفية، كعدم وجود كلمة في الإنجليزية تتعلق بموت النبات في مقابل كلمة Corpse بالنسبة للإنسان، وكلمة carcass بالنسبة للحيوان. وكلمة must ليس لها ماض في اللغة الإنجليزية، وتملأ هذه الفجوة باسـتخدام had to مثلاً.

ولو أننا صـــنفنا الحيوانات بحســـب الجنس والعمر لوجدنا اللغة العربية مثلاً تضـــع بالنســـبة للإنســـان الكلمات: رجل – امرأة، ولد – بنت. ولكنها لا تفعل ذلك بالنســـبة لكل الحيوانات. ولذا لو أعددنا قائمة بكل أمثلة الحيوانات فسنكتشف عدداً هائلاً من الفجوات في المفردات المعجمية، لا في اللغة العربية وحدها، بل في كل اللغات.

- أنَّ هذه النظرية تضـــع مفردات اللغة في شـــكل تجمعي تركيبي ينفي عنها التســـيب المزعوم.
- أنَّ هذا التحليل يمدُّنا بقائمة من الكلمات لكل موضوع على حدة. كما يمدُّنا بالتمييزات الدقيقة لكل لفظ، مما يسـهل على المتكلم أو الكاتب في موضـوع معين اختيار ألفاظه بدقّة وانتقاء الملائم منها لغرضه.
- قدرتها على إبراز العلاقات وأوجه الشـــبه والخلاف بين الكلمات التي تنتمي إلى حقل دلالي وبينها وبين المصطلح العام الذي يجمعها.
- أنَّ دراســـة معاني الكلمات على هذا الأســـاس تعد في نفس الوقت دراســـة لنظام التصـــورات، وللحضـــارة المادية والروحية الســـائدة، وللعادات والتقاليد والعلاقات الاجتماعية. كما أن دراسـة التطورات أو التغيرات داخل الحقل الدلالي تعني في نفس الوقت دراسة التغيرات في صورة الكون لدى أصحاب اللغة.

وهذا لا يعني سـهولة تصـنيف الكلمات في حقول دلالية، فقد يسـتعصـي أحيانا إدراج بعض الكلمات في حقل دلالي معين ولهذا تبدو مشـــكلة تصـــنيف المعجمات وفقا للحقول الدلالية مستعصية الحل، ويظهر ذلك فيما يلي:

- صعوبة حصر الحقول الدلالية، أو المفاهيم الموجودة في اللغة وتصنيفها.
- صـــعوبـة تحديد العلاقـات بين الكلمـات داخـل الحقل والعلاقـات هي: الترادف – الاشتمال – التضاد – التنافر...). والتضاد منه الحاد مثل: ميت/حي. والمتدرج مثل: ساخن/بارد والمتعاكس مثل: باع/اشترى.
- صـــعوبة التمييز بين الكلمات الأســـاســـية، والكلمات الهامشـــية داخل الحقل، فالكلمة الأســـاســـية هي الوحدة المعجمية المفردة، ولا يمكن التنبؤ بمعناها من خلال معنى أجزائها فقد يعتمد التمييز على الاستقراء والإحصاء للكلمات الأكثر استعمالا.